

أحمد بن محمد المقرئ التلمساني:

حياته- مؤلفاته- رحلاته

The biography of Muhammed Moqri Tlemsani

أ.عبد القادر سرير عبد الله

جامعة البليدة 2- الجزائر

الملخص:

نتطرق في بحثنا هذا إلى ترجمة العلامة أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، أحد أعلام الجزائر المشهورين في القرن العاشر الهجري، حيث سنبرز جهوده العلمية في مختلف المجالات والتخصصات المتنوعة، خاصة في علوم القرآن واللغة العربية، تأليفا وتدریسا وإجازة، كما سنستعرض رحلاته العلمية إلى مختلف الأقطار العربية آنذاك.

الكلمات المفتاحية: العلامة المقرئ، الدراسات القرآنية، علوم العربية، علم الفقه،

الرحلات العلمية.

Abstract:

In this research we focus on the biography of Ahmed bin Muhammed Al-moqri Tlemceni, one of the famous scientits of Algeria in the tenth century AH, where we will highlight his scientific efforts in various fields and diverse disciplines, especially in the sciences of the Quran and the Arabic language, authorship and teaching. We will also review his scientific trips to various Arab countries at that time.

Keywords: Al-moqri, Quranic studies, Arabic Sciences, Fiqh science, scientific trips.

مقدمه:

كان أبو العباس أحمد بن محمد المقرّي التلمساني رجلَ علم وأدب، بذل لذلك جهوده وأفنى أوقاته، قطع الفيافي وركب البحار، وتحمل الصعاب، وترك الديار وفارق الأهل والأولاد والخلائن، من أجل طلب العلم وتعليمه، فلم يدع حاضرة ولا بادية - في المشرق والمغرب - عُرِفَت بالعلم إلا ارتحل إليها غير أبيه بالمخاطر والأهوال.

اشتهر المقرّي بسعة ثقافته، وتعدّد مواهبه ومعارفه الموسوعية؛ حيث قرأ وألّف في مختلف العلوم والفنون، في تفسير القرآن وعلومه، والفقه وأصوله، والحديث النبوي الشريف، والتاريخ، واللغة والأدب والنحو والصرف، كما عُرِف بقرض الشعر.

لقد تبنّى أبو العباس المقرّي التلمساني - بفضل علمه - منزلة عالية ودرجة رفيعة في شتى أقطار العالم الإسلامي آنذاك، حيث كان موقّراً مبدّلاً في الجزائر، ومحبوياً من العلماء والعامّة على حدّ سواء، أما في المغرب الأقصى فقد لقي المقرّي ما هو حريّ بأمثاله من التقدير والاحترام، وفي تونس استقبله علماءؤها بالهدايا والترحاب والتعظيم والتبجيل، ووصل إلى القاهرة بعد أن شاعت سمعته العلمية في المغرب، ممّا مكّنه من احتلال مكانة مرموقة في الوسط العلمي والأدبي هناك.

1- ترجمة المقرئ التلمساني:

1-1- نسبه: هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن أبي يعيش بن محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيى بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن علي القرشي المقرئ التلمساني.

ينحدر المقرئ من أسرة علمية عريقة، جدّه أبو عبد الله المقرئ الكبير، صاحب كتاب "القواعد" و"الكليات الفقهية"، وكذا كتاب "المحاضرات"، وهو شيخ "لسان الدين بن الخطيب"، وأستاذ العلامة "عبد الرحمن بن خلدون"¹.

1-2- مولده ونشأته:

وُلد المقرئ عام ست وثمانين وتسعمائة (986هـ - 1580م) بمدينة تلمسان حيث نشأ وترعرع، وأخذ العلم عن شيوخها وعلمائها وأدبائها. "حفظ المقرئ القرآن، وطلب العلم وتلقاه من أفواه من بقي بها من العلماء والفقهاء والأدباء مقيما لم يهاجر، معتكفا على دراسة العلوم الدينية، واللغوية والأدبية، وكان عمدته في التعلم والتأدب عمّه أبو عثمان سعيد المقرئ مفتي تلمسان وكبير مشيختها"²، وقد قرأ على يديه - في جملة ما قرأ - صحيح البخاري سبع مرات، وروى عنه الكتب الستة.

¹ يُنظر: أحمد بن محمد المقرئ، رسائل المقرئ، دراسة وتحقيق أسماء القاسمي الحسني، دار الخليل القاسمي، المسيلة الجزائر، 2007، ص 99.

² المرجع نفسه، ص 102.

1-3- شيوخ:

جلس المقرّي إلى نُلّة من شيوخ من المغرب والمشرق، أخذ عنهم العلوم والمعارف في شتى العلوم والفنون، وقد ناظر وناقش بعضهم، فيهرهم بعلمه وذكائه وفطنته، بل وانتصر عليهم في مواطن كثيرة، لكنهم برّزوه وأجازوه.

أ - شيوخ تلمسان:

لم يُفصح المقرّي عن أسماء شيوخه في تلمسان ما عدا اسم عمه المذكور آنفاً، الذي أشاد به واعترف بجميله، وأقر بفضلته في جميع ما كتب وألّف طول حياته.

ب - شيوخ بالمغرب الأقصى:

شيوخه المغاربة كُثُر، لكننا سنقتصر على ثلاثة منهم فقط:

- أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن أحمد بن عمران السلاسي المتوفى سنة 1609 هـ - 1608 م، كان قاضياً ومفتياً بمدينة فاس.

- أبو عبد الله بن محمد الهواري المتوفى سنة 1022 هـ - 1613 م، كان يشغل وظيفة الإفتاء والإمامة والخطابة بالقرويين.

أحمد بن محمد المقرئ النلمساني: حياته- مؤلفاته- رحلاته

- أبو العباس أحمد بن أبي القاسم ابن محمد بن سالم بن عبد العزيز بن شعيب الهروي الزمراني التادلي المعروف بالصومعي المتوفى سنة 1013هـ - 1604م¹.

ج - شيوخه بالمشرق:

ذكر الكتاني في كتابه "فهرس الفهارس" ثلاثة مشايخ من شيوخ المقرئ المشاركة، هم:

- عبد الرؤوف بن تاج الدين بن علي بن زين العابدين المناوي المتوفى سنة 1031هـ - 1622م.

- أبو السعود نجم الدين محمد بن أحمد بن عبد الله بن مفرج العامري الغزي المتوفى سنة 1061هـ - 1651م.

- أبو الإرشاد نور الدين علي بن زين العابدين بن محمد بن زين العابدين ابن عبد الرحمن الأجهوري المتوفى سنة 1066هـ - 1656م.

1-4- تلامذته: لقد درّس وأقرأ المقرئ خلال رحلاته المتعددة - في المشرق وفي المغرب - في الجزائر وفي القرويين بالمغرب، وفي الأزهر بمصر، وفي مكة والمدينة، وفي جامع الأمويين بدمشق، وفي غزة بفلسطين، وقد "جلب له ذلك تلاميذ كثر، وانجذب إليه الطلبة مشرقا ومغربا، قال تلميذه عبد الباقي الحنبلي:

¹ أحمد بن محمد المقرئ، روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، المطبعة الملكية الرباط، المغرب، ط2، 1983، ص 300.

دخلت مصر سنة 1028هـ، فوجدته في صحن الجامع الأزهر يُقَرَأ العقائد في أهل المغرب، فلما دخل رجب افتتح البخاري فأتى بما هو أعجب".

وهؤلاء التلاميذ كثيرون نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

- أبو الحسن علي بن عبد الواحد بن محمد بن أبي بكر الأنصاري السلجماسي، توفى في مدينة الجزائر سنة 1054هـ - 1645م تتلمذ للمقري بفاس، وكان على اتصال مستمر بشيخه طوال حياته بالمشرق.

- أبو عبد الله محمد بن أحمد ميارة ، توفى سنة 1072هـ - 1662م، قرأ عليه بفاس.

- أبو العباس أحمد بن شاهين القبرصي الأصل ثم الدمشقي، توفى سنة 1053هـ - 1643م، تتلمذ للمقري بدمشق، وأجازه هناك، ومن أجله ألف كتابه المشهور "نفع الطيب".

1-5- أخلاق وتصوف:

عُرف المقري بأخلاقه الزكية وخصاله الحميدة بين كل من عاصره وعاشه، من الحكام والأمراء والعلماء والمشايخ والتلاميذ، وهذه شهادة حية من مفتي الحجاز آنذاك عبد الرحمن المرشدي، حيث يقول: "ذات صاغها الله من خاص خلائص المجد والكرم، وطواها على محاسن الأخلاق ومكارم الهمم، وجمع فيها من

أحمد بن محمد المقرئ النلمساني: حياته- مؤلفاته- رحلته

الكمالات الموروثة والمكتسبة، ما كان برهاناً أثبت به نسبه الكريم وحسبه، وإنه من بيت شيدت على الجوزاء دعائمه"¹.

أ- حلمه: وصّف المقرئ بالحلم كثيرٌ من معاصريه، كالفقيه محمد يوسف التاملي، الذي مدحه شعراً قائلاً:

حليم عليم سدّ جاد ماجدا *** وشاد في الغرب لنا فخرا فلا يعفى

له قدم في العلم والحلم و التقى *** وناهيك حبر زاد من ربه خوفا

ب- تواضعه: وقد عُرف الشيخ بتواضعه، قال عنه عبد القادر بن الغصين: "من قوة تواضع الشيخ المقرئ -رضي الله عنه- أنه لما أتى من مصر جاء بكتاب من عند الشيخ النجار فيه وصاية إلى والدي به، فأنزله والدي وأكرمه، فلما أنس بنا وتداخل معنا، قال له والدي يوماً: يا سيدي أحمد، إننا نشتهي الطعام المسمى عند المغاربة بالكسكس فهل في أصحابكم من يحسن صنعته؟

فقال: فيهم، والله لا يصنعه لكم أحدٌ غيري ... فأتينا بشاة لحم، ودقيق، وسمن، وما يحتاج إليه فصنع لنا بيده طعاماً من أجود ما يكون من ذلك النوع".

ج - تعاونه و خدمته لأهل العلم: كان المقرئ - رحمه الله - يسعى إلى نشر العلم أينما حلّ وأقام، ويدخل على الحكام والأمراء، ويتوسط لديهم من أجل بناء المدارس والجوامع والمعاهد، والإنفاق على طلاب العلم.

¹ المقرئ، رسائل المقرئ، ص 157.

يقول العياشي في شأن بناء مدرسة بغزة ودور المقري في ذلك وتوسطه لدي حاكم المدينة في أمرها: "قلم يبرح من المحل حتى دعا القاضي وكتب وشهد الشهود، وأخرج من كان في ذلك المحل ... ولم يزل المحل بعد ذلك عامرا بالذكر والقراءة، والله الحمد"¹.

د- تصوفه: نهل المقري من روض التصوف، ونشأ في ظلاله الوريقة، وجماه الفسيحة، ولا عَجَب في ذلك، فقد كان "جدّه الخامس عبد الرحمن المقري تلميذا بارا وخادما مخلصا لشيخه أبي مدين شعيب ببجاية"².

وطريقة المقري في التصوف هي طريقة أبي الحسن الشاذلي المعروفة بالطريقة الشاذلية التي كانت منتشرة في إفريقيا الشمالية، خاصة في المغرب الأقصى.

5-1- وفاته: مات المقري غريبا بعيدا عن وطنه، حيث توفاه الله بأرض الكنانة مصر عام 1041هـ-1632م، يقول أحد تلامذته، عبد الباقي الحنبلي: "فاخترته المنية بمصر، ودفن بتربة المجاورين سنة إحدى وأربعين".

¹ أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية، تح: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2006، ج2، ص 305-306.

² رسائل المقري، ص 162.

2- رحلاته:

2-1- رحلاته إلى المغرب الأقصى:

أ- رحلته الأولى: حلَّ المقرئ بمدينة فاس أول مرة في شهر صفر 1009هـ - 1600م، وكان ذلك من اقتراح وتشجيع عمه وشيخه سعيد المقرئ، من أجل طلب العلم وملاقة العلماء والمشايخ والطلبة؛ حيث أخذ المقرئ العلم مشافهة في حلقات التدريس، خاصة بجامع القرويين، كما كان الغرض من الرحلة الاطلاع على المخطوطات المتوفرة بالمغرب التي لا توجد بتلمسان لاسيما الأندلسية منها، التي كانت غاية المقرئ الكبرى.

ب- رجوعه إلى تلمسان: عاد المقرئ من فاس إلى تلمسان في ذي القعدة 1010هـ - ماي 1612م، بعد غياب دام حوالي واحد وعشرين شهرا، حيث شرع في تأليف كتاب "روض الآس" الذي ترجم فيه الشخصيات الحاكمة والعلمية التي عايشها في فاس خلال رحلته الأولى.

ج - عودته إلى فاس: ترجع أسباب هذه الرحلة الثانية إلى سببين اثنين:

أولا: رغبة المقرئ في اقتفاء آثار جدّه العلامة أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد المقرئ القرشي التلمساني، الذي رحل إلى مدينة فاس، حيث تولى فيها القضاء، وبنى له السلطان مدرسة عظيمة هناك.

ثانياً: تدهور أحوال الثقافة بتلمسان، وإعراض الناس عنها، لانشغالهم بالحروب الداخلية من جهة، واكتفائهم بالجري وراء قوتهم اليومي بسبب تدهور الحالة الاقتصادية العامة، ما دفع بالمقري إلى البحث عن مكان للثقافة والفكر والعلم شأن.¹

2-2- رحلته إلى المشرق:

لم يصرح المقري بالأسباب التي دفعته إلى السفر إلى المشرق العربي، لكن المرجح أنّ الأوضاع السياسية كانت وراء تلك الرحلات؛ حيث أنه رفض إصدار فتاوى تبيح تسليم بعض الأقاليم في المغرب الأقصى إلى الإسبان، ورأى بعض الباحثين أن سبب رحلته هو اتهام السلطان المغربي للمقري بمساندته لبعض القبائل الشرقية بشرق المغرب، وهم عرب من بادية تلمسان التي كانت تعادي السلطان محمد الشيخ السعدي².

2-2-1- المقري في طريقه إلى المشرق: غادر المقري فاس في شهر

رمضان 1027هـ - 1618م، انطلق من مدينة تطوان، ثم إلى الجزائر، ثم تونس ثم طرابلس، ووصل أخيراً إلى الإسكندرية بمصر.

¹ أحمد المقري، روضة الآس، 252-270-315.

² محمد الصغير الإفرائي، صفوة ما انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، تح: عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2004، ص42.

وحلَّ المقرئ بالإسكندرية في شهر رجب 1028هـ - 1619م، ومن الإسكندرية توجه صوب القاهرة حيث دخل الجامع الأزهر الشريف، وأخذ مكانه في "رواق المغاربة"، فالتفَّ حوله طلبة العلم، وأملى عليهم الحديث ولقنهم العلوم منها علم العقائد.

2-2-2- سفره إلى الحجاز: بعد أن أقام المقرئ بمصر مدة قصيرة، عزم على أداء مناسك الحج، وزيارة الروضة النبوية الشريفة، وقد اعتمر أوائل ذي القعدة 1028هـ-1619م، ولما آن أوان الحج أحرم وأدى المناسك، ثم زار المدينة المنورة حيث مقام النبي صلى الله عليه وسلّم.

2-2-3- عودته إلى مصر: عاد المقرئ إلى مصر في شهر محرم 1029هـ . 1619م، حيث أقام شهرين كاملين، استعد فيهما لشدَّ الرحال نحو بيت المقدس.

2-2-4- حلوله ببيت المقدس: حلَّ المقرئ بالقدس في شهر ربيع الأول عام 1029هـ - 1620م، فزار المسجد الأقصى، ومقام الخليل إبراهيم عليه السلام و"قبة الصخرة"، واتصل بالعلماء وتلقى المخاطبات من علماء الشام كأبي أيوب الخلوتي.

2-2-5- عودته ثانية إلى مصر: بعد هذه العودة الثانية إلى مصر، تزوج من عائلة شريفة، وقرر الاستقرار والمقام في أرض الكنانة، ومن مصر حج

واعتمر خمس مرات،" وزار المدينة سبع مرات، ودّرس بالحرم المكي مدة من الزمن، وألقى بالمدينة كذلك دروسا حيث ألقى الحديث الشريف".

2-2-6- عودته إلى غزة ثانية: في شهر رجب 1037هـ - 1628م

توجّه المقري صوب بيت المقدس، ونزل في طريقه بغزة، وقد وصل إلى القدس في منتصف رجب، حيث ألقى بالمسجد الأقصى دروسا كثيرة ومتنوعة، وزار مقام إبراهيم عليه السلام ومقامات للأنبياء والرسل الآخرين؛ فكانت إقامته بالقدس خمسة وعشرين يوما.

يقول المقري واصفا هذه الزيارة: "فتحركت همتي أوائل رجب هذه السنة للعودة للبيت المقدس، وتجديد العهد بالمحل الذي هو على التقوى مؤسس، فوصلت أواسط رجب وأقمت نحو خمسة وعشرين يوما، بدا لي فيها بفضل الله وجه الرشد وما احتجب، وألقيت عدة دروس بالأقصى والصخرة المنيفة، وزرت مقام الخليل ومن معه من الأنبياء ذوي المقامات الشريفة"¹.

2-2-7- زيارته لدمشق: حلّ المقري بدمشق في شعبان 1037هـ-

1628م، ووجد في استقباله كبير علماءها ومفتيها الشيخ عبد الرحمن ابن عماد الدين، الذي سبق له أن التقى معه بمكة المكرمة، فأحسن ضيافته وقدره حق قدره، وأجلسه مع كبار علماء دمشق وأعيانها وأدبائها وفضلاتها .

¹ أحمد المقري، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968، ج 2 ص 57.

2-2-8- عودته إلى مصر: وصل الشيخ إلى مصر مجدداً في شهر شوال 1037هـ - 1028م، وأخذ في تأليف مؤلفه الشهير "نفع الطيب"، واشتاقته نفسه بسرعة إلى دمشق، وعزم على حمل الكتاب بنفسه وأخذه إلى أصدقائه الذين اقترحوا على المقرئ تأليفه.

2-2-9- رجوعه إلى القدس ودمشق: عاد المقرئ إلى دمشق في رمضان 1040م، ومن هناك اتجه صوب القدس من جديد في نفس السنة.

2-2-10- عودته الأخيرة إلى مصر: عاد الشيخ إلى مصر في أوائل سنة 1041هـ - 1631م، ثم عزم على زيارة الحجاز مرة أخرى، إلا أن أجله وافاه في ذلك العام.

3- جهوده العلمية فلاج خدمة الدراسات القرآنية وعلوم العربية:

برز المقرئ في علوم وفنون شتى، أجاد فيها وأفاد؛ حيث درّس وألف في تفسير القرآن وعلومه، وروى الحديث النبوي الشريف من مختلف الكتب المعتمدة عند أهل السنة والجماعة، كما كتب في السيرة النبوية المطهرة، وفي الفقه، وفي النحو والتاريخ والمنطق، وغيرها من المجالات الأخرى.

3-1-1- علوه الدين:

3-1-1- العقيدة : أَلْفُ الْمُقْرِي كِتَابًا فِي الْعَقِيدَةِ، أَمَّهَا:

- "إضاءة الدجنة في عقائد لأهل السنة": هو أرجوزة من خمس مائة بيت، مكونة من سبعة عشر فصلا ومقدمة؛ نظمه بالحجاز، ودرسه بالحرمين الشريفين، مكة المكرمة والمدينة المنورة).

- "إتحاف المغرم المغربي بتكميل شرح الصغرى"، وهو شرح لكتاب "العقيدة الصغرى" للسنوسي.

3-1-2 - علو القرآن: "يقول المحبي في كتابه الموسوم "خلاصة

الأثر" عن المقري أنه "كان آية في علم الكلام والتفسير والحديث"¹، وكتابه "إعراب القرآن" يدل على أن له باعا في هذا الفن، فلا يقوى على التصدي لإعراب القرآن إلا من حاز علما وافيا بمدلوله واجتهادا في تأويله.

3-1-3 - الحديث النبوي: لقد كان المقري "حجة في حفظ الحديث

النبوي الشريف، وضبط رواياته، ومعرفة رجال الأسانيد والتحري في الرواية، فهو يروي رواية عامة عن عمه سعيد المقري ومحمد القصار القيسي ... وغيرهما من

¹ محمد أمين بن فضل الله الحموي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، دار صادر، بيروت، ط، ج1، ص302.

المغاربة، وعن علي الأجهوري وعبد الرؤوف المناوي ... وغيرهما من المشاركة"، كما روى الكتب الستة عن عمه سعيد من طرق عديدة¹.

3-1-4- السيرة النبوية: دَرَسَ المقرئ كتاب "الشفاء لمعرفة حقوق

المصطفى" للقاضي عياض في المغرب وفي الشام مرات عديدة، يشهد على ذلك قوله عن نفسه: "ولمّا قرأت "الشفاء" بمقصورة الجامع الأعظم من فاس المحروسة"، أمّا تدريسه لكتاب الشفاء فيشهد له بذلك قول الأمير منجك من قصيدة مادحا بها المقرئ:

شفى بدرس الشفاء مرضى درابتنا *** لما أفاد مع الإيضاح إتقاننا

ومن خلال هذا البيت يبدو أنه أقرأ كتاب "الإيضاح في النحو" لأبي علي الفارسي أو "الإيضاح في تفسير القرآن" للأصفهاني، أو كتاب "الإتقان في علوم القرآن" للسيوطي كما ثبت عنه أنه كان يقيم في فاس مجلسا خاصا يقرأ ويشرح فيه قصيدة البردة للبوصيري، يعرض من خلاله إلى سيرة النبي - صلى الله عليه وسلم - ويبرز أخلاقه وسلوكه وأوصافه.

3-1-5- الفقه: تميّز المقرئ وتفرد في الفقه وأصوله وفروعه، وتشهد له

بذلك مؤلفاته العديدة، ودروسه ومحاضراته في المشرق والمغرب، وكذا ردوده على القضايا والمسائل التي طُرحت عليه في دروسه مع تلامذته، وفي مناقشاته مع أقرانه من العلماء والمشايخ، ومما يدل على تمكنه في علم الفقه والفتوى، أنه كان

¹ ينظر: المقرئ، رسائل المقرئ، ص 186.

قد شغل منصب الإفتاء والإمامة والخطابة بجامع القرويين، مما يدل على أنه له قدما ثابتة، صائلة جائلة في هذا العلم"¹.

ومن أهم مؤلفاته في هذا المجال كتابه الموسوم "قطف المختصر من أفنان المختصر"، وهو شرح لمختصر خليل بن إسحاق المالكي وحاشيته على "مختصر خليل"، وكذا كتابه "إعمال الذهن والفكر في المسائل المتنوعة الأجناس الواردة من سيدي محمد بن أبي بكر بركة الزمان وبقية الناس"، تضمن هذا المؤلف أجوبة عن أسئلة الشيخ محمد الدلائي التي وجهها إليه من الزاوية الدلالية أيام كان المقرئ مقيما بالقاهرة.

3-2- علوم اللغة والنحو:

كان المقرئ عالما أيضا باللغة والنحو، لذلك طلب منه فقهاء الجزائر عندما نزل عندهم ضيفا - وهو متوجّه إلى المشرق - أن يقدم لهم دروسا في علوم اللغة العربية.

ومن أهم مؤلفاته في هذا المجال:

- كتاب "إعراب القرآن".

¹ المرجع السابق، 188.

- "إتحاف أهل السيادة بضوابط حروف الزيادة"، وهي رسالة في النحو، ذكرها المقرئ في "نفع الطيب" يقول: "وقد جمعت في المغرب زيادة على ما تقدم، وكنت قدرت رسالة فيها أسميها (إتحاف أهل السيادة بضوابط حروف السيادة)"¹.

مؤلفات جمعت بين الأدب والتاريخ: ومنها:

- "روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيتهم من أعلام الحضرتين مراكش وفاس"، ولعلها أول مؤلفاته ذكرها في كتابه "نفع الطيب"، وموضوعها أدب وتراجم للعلماء والأدباء الذين لقيهم واجتمع بهم في المغرب، أثناء رحلته الأولى إليه، وبتت فيها نصوصا نثرية ومقطعات شعرية.

- "أزهار الرياض في أخبار عياض، وما يناسبها مما يحصل به للنفس ارتياح وللعقل ارتياح"؛ وهو موسوعة أدبية وتاريخية ألفها المقرئ حول حياة العلامة المالكي القاضي عياض، وفي الكتاب الكثير من الفوائد اللغوية والأدبية، والأخبار والوقائع التاريخية المختلفة التي لها صلة بالأندلس والمغرب الأقصى.

- "نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب"؛ وهو كذلك موسوعة ضخمة عن تاريخ الأندلس وجغرافيتها وآدابها.

¹ المقرئ، نفع الطيب، ج3، ص 439.

4- إجازات لطلاب العلم:

بلغ المقري منزلة عالية في شتى العلوم والفنون، والدليل على ذلك تهافت طلاب العلم من مختلف الأقطار على مجالس علمه، وتزاحمهم في حلقات تدريسه، وقد درس على يديه خلقٌ كثيرٌ من طلاب العلوم اللغوية والشعرية، حيث أجاز العديد منهم في الأمصار التي أقام ودرّس بها.

4-1- إجازة العجمي: تمت هذه الإجازة في مصر سنة 1033هـ، بعد أن اختبر العلامة المقري الطالب الشاب "الشهاب أحمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد العجمي الشافعي"، الذي "كان من أجلاء علماء عصره، ومرجعاً لأفاضل عصره في مراجعة المسائل المشكّلة، لطول باعه وسعة اطلاعه، له "النهاية في معرفة تاريخ أيام العرب وأنسابهم" ولد عام 1010، وتوفى سنة 1087هـ".

جاء في رسائل المقري بخصوص هذه الإجازة ما يلي: "فقد أجزت الشاب النجيب الأريب، المُحصّل الشيخ أحمد ابن القاضي شهاب الدين العجمي دامت معاليه، جميع ما تجوز لي وعني روايته بشروطه، وقد حضرني - حفظ الله شبابه ويسّر الله للخير أسبابه- قطعة من شرح المحقق الجلال المُحلي على جمع الجوامع، وحضرني في المنطق وغيره...وأنا أسأل الله أن يجعلنا وإيَّاه من أهل العلم والعمل ويبلغنا من رضوانه الأمل"¹.

¹ - المقري، رسائل المقري، ص 367.

4-2- إجازة العماري: أجاز المقرئ الشيخ محمود ابن العلامة الشيخ أحمد العماري الخليلي (نسبة إلى مدينة الخليل الفلسطينية)، بعد أن امتحنه في علوم شتى، النحو، الفقه، علم الحديث والتاريخ، وتمّ ذلك أثناء إحدى زيارتي المقرئ لبيت المقدس سنة (1029هـ أو 1037). يقول العلامة المقرئ عن هذه الإجازة ما يلي: "وكتبت بأرض الخليل من طرف القلم بديهة لبعض العلماء ما نصه:

"إنّ الأَخ الفاضل في الله الفاضل السري اللوذعي الدراكة الفهامة، سيدي الشيخ محمود ابن مولانا العلامة الشيخ أحمد العماري الخليلي، زاد الله في معناه، وعمر بالمسرات مغناه ... رغب مني أن أُجيزه لظنه أني من رجال هذا المجال، فاعتذرت بأن البضاعة مزجاة، فكأنّه ما قبل عذري الوجيز ... ولكني قد أحبته رجاء صالح الدعاء منه في البقاع المقدسة (فلسطين)، وخاصة عند روضات الأنبياء الكرام، عليهم الصلاة والسلام، حيث المباني على التقوى مؤسسة"¹.

4-3- إجازة السوسي: كما أجاز المقرئ طلاب العلم في المشرق، أجاز كذلك الطلاب في المغرب، حيث نال شرف إجازة الشيخ أبي بكر السوسي المغربي المراكشي، بعد أن عرض بين يديه مجموعة من العلوم والمعارف المختلفة في مجالات العلوم الشرعية وعلوم العربية، وقد ذكر المقرئ تلكم الإجازة في رسائله شعرا، حيث يقول من أرجوزة ما يلي:

"أحمد من أيّد بالرواية *** قوما أزاخوا غيهب الغواية

¹ المرجع نفسه، ص368.

- وكشفوا عن مشكلاتها الغطا *** وأسندوا حديث فضل وعطا
- وإنَّ من أجل أهل العصر *** الوافدين لنواحي مصر
- الفاضل المُحصِّل النحرير *** المقرئ الذي له التحرير
- المغربي المراكشي السوسي *** ذو المبحث المعقول المحسوس
- الصالح الفرد أبو بكر الرضي لا زال عمًا لا يليق مُعرضا
- ورام منِّي مع ظهور جهلي *** إجازة لست لها بأهل"

الخاتمة:

لقد أسهم العلامة المقري إسهاما عظيما في خدمة الدراسات القرآنية والفقهيّة، وعلوم العربيّة، وظهر لنا ذلك من خلال رحلاته العلميّة المتعددة والمتكررة إلى أقطار المشرق والمغرب، غير مبال بالمشاق والمصاعب والمحن التي اعترضت طريقه؛ حيث كان يُعلم ويدرس - أينما حلَّ وأقام- ويجيز طلاب العلم.

كما أكّد خدمته للعلوم والفنون المختلفة، من خلال مؤلفاته الكثيرة، منها ما جُمع وحُقق وطُبِع، ومنها ما ضاع ولم يبق منه إلا العناوين المبنوثة في المصادر القديمة.

أحمد بن محمد المقرئ النلمساني: حياته- مؤلفاته- رحلته

وعليه فقد خلّدت المقرئ أعماله وآثاره العلمية، وسارت بأخباره الأزمان،
وتناقلت سيرته الأجيال، وحاز قصب السبق في العلم، وبلغ المجد في السلوك
والأدب.

قائمة المراجع:

- 1- أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية، تح: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2006.
- 2- أحمد المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968م.
- 3- أحمد بن محمد المقري، رسائل المقري، دراسة وتحقيق أسماء القاسمي الحسني، دار الخليل القاسمي، المسيلة الجزائر، 2007.
- 4- أحمد بن محمد المقري، روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، المطبعة الملكية الرباط، المغرب، ط2، 1983.
- 5- محمد الصغير الإفرائي، صفوة ما انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، تح: عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2004.
- 6- محمد أمين بن فضل الله الحموي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، دار صادر، بيروت، دط، دت.